

البحث البلاغي في صحيح البخاري في العصر الحديث

د. سامي بن سليمان بن زيد اليحيى (*)

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المستخلص: تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مكانة البلاغة النبوية من خلال كتاب صحيح البخاري، وإبراز جهود العلماء من شراح الحديث النبوي، والباحثين المهتمين بالبلاغة النبوية في العصر الحديث في دراستهم له دراسةً بلاغية، والتعرف على أبرز مجالات بحثهم فيه، والإفادة من كيفية تناوهم للطوائف البلاغية، وتحليلها. ويقوم البحث على رصد وتتبع لكل ما كتب في صحيح البخاري في العصر الحديث، من شرح له اهتمام بالجانب البلاغي، أو دراسة متخصصة في بلاغته. وقد توصلت الدراسة إلى عددٍ من النتائج، منها: 1- تعدد مجالات البحث البلاغي في الحديث النبوي، 2- غناية شراح الحديث النبوي بإظهار بعض اللطائف البلاغية في الكلام المحمدي، وإن لم يكن بعضهم توجهه العلمي في البلاغة!، 3- لكثرة الدراسات العلمية والمؤلفات المؤلفة في دراسة بلاغة صحيح البخاري معانيًا وبيانيًا وبديعًا، لا سيما في جامعة الأزهر! وهذه الكثرة تُسفر لنا بركة هذا الكتاب العظيم. وتُختم البحث بجملته من التوصيات، من أهمها: 1- العناية بالبحث البلاغي في الحديث النبوي، وتشجيع الباحثين على إثراء المكتبة البلاغية بدراسة هذا الحقل المهم، 2- أن تكون الدراسة للحديث النبوي قائمة على أسس ومنهجيات صحيحة؛ لإظهار المقاصد والدلالات كما أرادها قائلها ﷺ، من غير زيغٍ أو هوى نفس. 3- رصد دراسات في بلاغة النبي ﷺ في كتب أخرى من الحديث، كصحيح الإمام مسلم، وغيره، والوقوف على أسسها، واستخراج مجالات الباحثين فيها.

الكلمات المفتاحية: البحث البلاغي، البلاغة، صحيح البخاري.

The Rhetorical Research in Sahih Al-Bukhari in the Modern Era

Dr. Sami bin Sulayman bin Zayd Al-Yahya*

Imam Muhammad bin Saud Islamic University

Abstract: The present study aims at revealing the status of prophetic rhetoric through the book of "Sahih Al-Bukhari". It also highlights the efforts of Hadith commentators and modern researchers who are interested in the rhetorical exploration of the prophetic rhetoric. Furthermore, it identifies the most important areas of their research and their ways of dealing and analyzing rhetorical devices.

The study is basically tracking everything that is written about Sahih Al-Bukhari in the modern era; including explanations of the rhetorical aspect or specialized studies in its rhetorical side.

The major findings of the study include: 1- The fields of rhetorical research in the Hadith vary. 2- Hadith commentators care about demonstrating some rhetorical phrases in the Mohammedan speech, although some of them are not scientifically majoring in rhetoric! 3- The abundance of scientific studies and literature in studying Sahih Al-Bukhari's rhetoric in terms of meaning, indication, and figures of speech, especially at Al-Azhar University! This abundance yields the blessing of this great book.

The research is concluded with a set of recommendations, the most important of which are: 1- The importance of caring about rhetorical research in the Prophetic Hadith, and encouraging researchers to enrich the rhetorical library by studying this important field. 2- The study of the Prophet's Hadith should be based on solid foundations and methodologies to show the intents and indications as intended by the Prophet, peace be upon him, without following deviations or self-interest. 3- Monitoring studies in the rhetoric of the Prophet, peace be upon him, in further Hadith books, such as Sahih Imam Muslim, and others, examining its foundations, and specifying its research areas.

key words: Rhetorical research, rhetoric, Sahih Al-Bukhari

(*) Assistant Professor at the Department of Rhetoric, Criticism and the Approach to Islamic Literature, College of Arabic Language, Imam Muhammad bin Saud Islamic University

البريد الإلكتروني: soaomoi@hotmail.com

(*) أستاذ مساعد، قسم البلاغة والنقد ومنهج الأدب الإسلامي، كلية اللغة العربية، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

المقدمة

الحمد لله حمد الشاكرين، حمداً كثيراً طيباً مباركاً، حمداً لا ينتهي، ونهاية لا تزال تبدأ، وأشكره وأثني عليه الخير كله، والصلاة والسلام على الحبيب المصطفى، والنبى المجتبى محمد بن عبد الله، المبعوث بأفصح اللغات، وأبلغ الكلمات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثره، واهتدى بهداه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن أجل الكلام وأعلاه وأبلغه بعد كلام الله ﷻ كلامُ رسوله ﷺ المبين لكلام ربه، والمفصل لمجمله، والموضح لمشكله، ولا غرو أن يوليه المسلم عناية خاصة، ويجعله نبراساً له في حياته بوجه عام، وفي خطابه، وكتاباته بوجه خاص، ولا تقف تلك العناية في حفظه، وشرحه، وبيان أحكامه الشرعية، بل تعدى ذلك إلى الوقوف على أسرار البلاغة من خلال شرح المحدثين لكلامه ﷺ أو توجه بعض العلماء والدراسين إلى التخصص في مجال دراسة البلاغة النبوية؛ للوقوف على هذا البيان المحمدي الرفيع، ومن ذلك عنايتهم بصحيح الإمام البخاري - رحمه الله - الذي أجمعت الأمة على صحة ما جاء فيه، ومن هنا جاء هذا البحث لإظهار تلك العناية بالبلاغة النبوية من خلال كتاب صحيح البخاري في العصر الحديث؛ إبرازاً لجهود العلماء والمهتمين بالبلاغة النبوية، وللإفادة من مجالات بحثهم فيه،

وعنونتُ هذا البحث بـ (الدراسات البلاغية عن صحيح

البخاري في العصر الحديث).

وبناء هذا البحث قائم على رصد ما كتب في صحيح البخاري في العصر الحديث، من شرح له عناية بالجانب البلاغي، أو دراسة متخصصة في بلاغته، وهذا أمرٌ كان من الصعوبة بمكان؛ لكثرتِه نظراً للتوسع الجغرافي الذي يحتاجه الباحث للحصول على تلك الكتب في الجامعات العربية والإسلامية، إضافةً إلى أن الحكم على عناية كاتبها بالجانب البلاغي في شرحه لصحيح البخاري يحتاج إلى تقليب صفحات كتابه، وتأمل عباراته.

ويهدف هذا البحث إلى رصد جهود العلماء والباحثين في دراستهم لصحيح البخاري دراسة بلاغية، والإفادة من مجالات بحثهم فيه، والتعرف على كيفية تناولهم للوجوه البلاغية النبوية.

وقد قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة

أما التمهيد فتناولت فيه الحديث عن البلاغة النبوية ومكانتها.

وأما المبحث الأول فتناول مجالات الدراسات البلاغية في صحيح البخاري.

وأما المبحث الثاني فتناول جهود شراح صحيح البخاري والبلاغيين في الكشف عن الجوانب البلاغية.

وفي الخاتمة لخصت ما جاء في البحث، مع ذكر لأبرز النتائج والتوصيات.

أمل أن أكون قد وفقتُ في دراسة الموضوع، وتبسيط الضوء على دراسات الجهود البلاغية لصحيح البخاري في العصر الحديث، وأقدم شكري لكل قارئ وناقد وفاحص؛ لأسدّد وأتمّم، فما كان من توفيق فمن الله سبحانه، والله تعالى أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، والحمد لله رب العالمين.

* * *

التمهيد

البلاغة النبوية ومكانتها:

تحتل البلاغة النبوية مكانةً سامية، ومنزلةً رفيعة، لا يحيط بها أحدٌ من البشر، من حُسن في البيان والمنطق، وجودة في الفصاحة والبراعة، وكيف لا تحتلُّ ذلك وكلام رسول الله ﷺ أبلغ الكلام، وأفصحه، قال فيه الجاحظ (255هـ) "وهو الكلام الذي قلَّ عدد حروفه، وكثُر عدد معانيه، وجَلَّ عن الصَّنعة، ونَزَّه عن التكلُّف،... واستعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن المهجين السُّوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلَّم إلا بكلامٍ قد حُفَّ بالعصمة، وشيّد بالتأييد، ويُسّر بالتوفيق. وهو الكلام الذي ألقى الله عليه المحبة، وغشَّاه بالقبول، وجمع له بين المهابة والحلاوة، وبين حُسن

الإفهام، وقلة عدد الكلام، مع استغنائه عن إعادته، وقلة حاجة السامع إلى معاودته، لم تسقط له كلمة، ولا زلت به قَدَم، ولا بارت له حُجَّة، ولم يُقَم له خصم، ولا أفحمه خطيب، بل يبذُّ الخطب الطوال بالكلم القصار، ولا يلتبس إسكات الخصم إلا بما يعرفه الخصم، ولا يحتجُّ إلا بالصدق، ولا يطلب الفلج إلا بالحق، ولا يستعين بالخلابة، ولا يستعمل المواربة، ولا يهمز ولا يلمز، ولا يُبْطِئ ولا يعجل، ولا يُسهب ولا يَحْصِر، ثم لم يسمع الناس بكلامٍ قط أعمّ نفعًا، ولا أقصد لفظًا، ولا أعدل وزنًا، ولا أجمل مذهبًا، ولا أكرم مطلبًا، ولا أحسن موقعًا، ولا أسهل مخرجًا، ولا أفصح معنى، ولا أبين في فحوى من كلامه ﷺ" (1)، وقال يونس بن حبيب (182هـ): "ما جاءنا عن أحدٍ من روائع الكلام ما جاءنا عن رسول الله ﷺ" (2)، وقال القاضي عياض (544هـ): "وأما فصاحة اللسان، وبلاغة القول، فقد كان ﷺ في ذلك بالمحل الأفضل، والموضع الذي لا يُجْهَل، سلاسة طبع، وبراعة منزع، وإيجاز مَقْطَع، ونصاعة لفظ، وجزالة قول، وصحة معان، وقلة تكلف، أوتي جوامع الكلم، وخُصَّ ببدايع الحكم، وعُلِّم السنة العرب، يخاطب كل أمةٍ منها بلسانها، ويُجاورها بلغتها، ويُباريها في منزع بلاغتها،

(1) البيان والتبيين، لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (2/17-18).

(2) المصدر السابق، (2/18).

والكشف عن سماته الكلامية، وخصائصه البيانية، ورسم منهجه البلاغي، ومن أولئك العلماء الذين كتبوا فأفاضوا في الكلام عن بلاغته ﷺ مصطفى صادق الرافعي (1356هـ) "الذي عالج البلاغة النبوية بطريقته الأدبية التي تهتم بإيجاءات الألفاظ، وفلسفة التراكيب، وأسرار العبارات، وإشعاع المعاني، ثم تقدير ذلك بميزان النقد الأدبي" (6)، وأحسبه قد أحسن وأجاد فأفاد في حديثه عن البلاغة النبوية، ردفاً بعد الحديث عن إعجاز القرآن الكريم في كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)، وذلكم الحُسن، وتلك الجودة لم تتهياً له - بعد توفيق الله - إلا لأنه لما عزم على كتابة فصل في البلاغة النبوية لم يكتب حتى قرأ صحيح البخاري قراءة درس في بضعة عشر يوماً! وكان يقرأ في يومه ثمان ساعات متواصلة، قال الأستاذ محمد سعيد العريان في كتابه (حياة الرافعي): "وما كتبه الرافعي في تلك الفترة بحثٌ طويل في البلاغة النبوية، أنشأه إجابةً لدعوة جمعية الهداية الإسلامية بالعراق؛ لتشره في ذكرى المولد النبوي (7)، وقد لقي من العناية في إنشاء هذا الفصل ما لا أحسب غيره يقوى عليه، وحسبك أن تعلم أن الرافعي لم يتهياً لكتابة هذا

حتى كان كثيراً من أصحابه يسألونه في غير موطن، عن شرح كلامه، وتفسير قوله" (3)، وقال ابن دحية (633هـ) في حديثه عن خصائص فمه ﷺ: "فأعظمها الفصاحة، التي فاق بها جميع العرب، وأتى بنظامٍ غير نظام الشعراء والمترسلين، وذوي الخطب" (4).

وتلك البلاغة المحمدية الفائقة في أعلى درجات البلاغة الإنسانية، وفي الدرجة الثانية بعد بلاغة القرآن الكريم لم تكن كذلك إلا بتوفيقٍ إلهي، وفيضٍ رباني من الله ﷻ ثم أسبابٌ تهيأت له ﷺ فتضافرت في نبوغ شخصيته البيانية، وتربية ملكته البلاغية، كنشأته في أفصح قبائل العرب، وهم بنو سعد بن بكر، الذين كان لهم تأثيرٌ كبيرٌ في فصاحته ﷺ إضافةً إلى اختيار الله له رسولاً إلى الناس كافةً، فعلمه ما لم يكن يعلم، وأطلق لسانه بالحكمة وفصل الخطاب (5).

من أجل ذلك كان لبعض العلماء المهتمين بدراسة سيرته، وبيان شمائله، بل وشرح كلامه - عليه الصلاة والسلام - عنايةً في بيان بلاغته، والوقوف على أساليبه،

(3) الشفا بتعريف حقوق المصطفى ﷺ، للقاضي أبي الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ص (115-116).

(4) الآيات البيّنات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات، لأبي الخطاب عمر بن الحسن بن دحية الكلبي، ص (258).

(5) ينظر: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي، ص (283).

(6) السّمات البلاغية في بيان النبوة، للدكتور: صباح عبيد دزاز، ص (127).

(7) لم يثبت أن الرسول ﷺ احتفل بمولده، ولا أمر به، ولم يفعله صحابته من بعده، والخير كله في اتباع من سلف.

المبحث الأول

مجالات الدراسات البلاغية في صحيح البخاري

لكل علمٍ من العلوم سمات خاصة، وأهداف وغايات وُجدت من أجله، ومجالات معيَّنة لتحقيقها، والدارس لأحد تلك العلوم، والباحث المتخصص فيها له محدّداته الخاصة، ومجاله الذي يركّز عليه اهتمامه؛ ليكون على دراية كبيرة بموضوع دراسته، وإحاطةً لأبعاد القضية من جميع جوانبها، فيسعى إلى دراستها، وتحليلها، وتقديم حلول لها.

وعلم البلاغة ليس ببعيدٍ عن ذلك، فله أهميته بين سائر العلوم بوجهٍ عام، وعلوم العربية بوجهٍ خاص، وله منزلةٌ عظيمة لا تُدانيها منزلةٌ فنٍّ آخر من فنون العربية، وحسبك في ذلك أن من أعظم وجوه الإعجاز القرآني هو بلاغته، ونظمه، مما هدى أبا هلال العسكري (395 هـ) أن يقول: "إن أحقَّ العلوم بالتعلُّم، وأولاها بالتحفُّظ - بعد المعرفة بالله، جلَّ ثناؤه - علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به يُعرف إعجاز كتاب الله - تعالى - الناطق بالحق، الهادي إلى سبيل الرُّشد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدِّين، وأزالت شبه الكفار ببراهينها، وهتكت حُجُبَ الشَّكِّ بيقينها"⁽¹⁰⁾.

الفصل حتى قرأ (صحيح البخاري) كله قراءة دارس، وأنفق في ذلك بضعة عشر يوماً، وهو وقت قليل لا يتسع للقارئ العجل أن يقرأ فيه (صحيح البخاري) قراءة تلاوة، فكيف به دارساً متمهلاً يقرأ لتذوق بلاغة الأسلوب، ودقة المعنى؟ ولكن ذلك ليس عجيباً من الرافعي الذي كان يقرأ كل يوم ثماني ساعات متوالية لا يمل، فلا ينهض عن كرسيه حتى يوجعه قلبه! وكتب الفصل بعد ذلك في ثلاثة أيام، ثم دفعه إليّ لأكتبه بخطي، ولم يمله عليّ، فأنفقتُ في كتابته ثلاثة أيام أخرى"⁽⁸⁾.

وما صنعه الرافعي من قراءته لكلام المصطفى ﷺ من قراءة صحيح البخاري قبل أن يخط قلمه للكتابة في البلاغة النبوية يدل على مكانة هذا الكتاب لدى العلماء، ولا غرو في ذلك، فقد اعتبروه أصحَّ الكتب بعد كتاب الله تعالى، وأصحَّ الكتب المصنَّفة في الحديث، كما نقل ذلك جمع من أهل العلم، ومن ذلك قول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - (728 هـ) "فإن الذي اتفق عليه أهل العلم أنه ليس بعد القرآن كتاب أصح من كتاب البخاري ومسلم"⁽⁹⁾.

* * *

(8) حياة الرافعي، لمحمد سعيد العريان، ص (215-216).

(9) مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم، (20/321).

(10) كتاب الصنائع والكتب والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري، ص (1).

وعلم البلاغة غايته التعبير عن المعنى الجميل
بعبارة سليمة فصيحة تلائم المقام، بالإضافة إلى دراسة
كلام الله - تعالى - وفهمه، والغوص في أسراره ولطائفه
البيانية، والوقوف على وجوه إعجازه الأخرى، ودراسة
كلام رسوله - عليه الصلاة والسلام - واقتفاء أثره في
بلاغته، وحسن منطقته، وجزالة لفظه، واستخلاص
أسرار الجمال في كلامه.

وتحقيق تلك الغاية السامية في ذلكم العلم
الجليل، وبلوغ أهدافه، لا يكون إلا في ضوء عددٍ من
مجالات البحث فيه، وكل مجالٍ منها له أهميته في موضعه
وسياقه، لا ينوب عنه مجالٌ آخر، وتلك المجالات في
البحث البلاغي قد توسّعت في العصر الحديث "إلى
حدودٍ أرحب أفقًا، وسعت من حدود اللفظة والجملة
إلى المجالات الرحبة التي للنوع الأدبي الواحد،
والأساليب المتنوعة في القول، وصارت تشمل ما يكفل
تبين إبداع الأديب، أو جمال أدبه" (11).

وسأقف هنا على أبرز مجالات الدراسات البلاغية
في كلام رسول الله ﷺ والتي طبّقها علماء البلاغة
والباحثون على كتب الحديث النبوي الشريف عمومًا،
وعلى أصحها وهو صحيح البخاري خصوصًا بنسبة
أكبر؛ لكونه مشتملاً على أصح الأحاديث النبوية، فلا

يقع غير المتخصص في الحديث النبوي في تحليل حديثٍ
لا تصح نسبته إلى قائله - عليه الصلاة والسلام - وأود
التنبية إلى أن هذه المجالات التي سأذكرها قد
استخلصتها بناءً على ما توافر لديّ، وأطلعت عليه من
مؤلفاتٍ كتبت على صحيح البخاري في العصر الحديث،
شارحةً لكل أحاديثه أو بعضها، ولها وقفاتٌ على
اللطائف البلاغية في الكلام النبوي، أو بحوثٍ علميةٍ
كثيرةٍ اختصت بالبحث البلاغي في صحيح البخاري (12).

بلغ عدد مجالات الدراسات البلاغية في صحيح
البخاري ثمانية مجالات، هي:
المجال الأول: المفردة النبوية:

وأعني بذلك اللفظة الواحدة، واللفظة هي اللبنة
الأولى في بنية الكلام، وفي كل تعبير لغوي، من هنا كان
لا بد من البدء بها في مقدمة ذكر مجالات البحث البلاغي
في صحيح البخاري؛ لأن حُسن اختيار اللفظة، ووضعها
في موضعها الملائم لها من السياق، له اهتمامٌ بالغٌ لدى
العرب؛ لما لها من علاقةٍ تلازميةٍ مع المعنى، والقلب
الذي وُضعت فيه، يقول ابن رشيّق (456هـ): "اللفظ
جسم، وروحه المعنى، وارتباطه به كارتباط الروح

(12) وقد بلغ ما جمعته أكثر من (40) كتابًا ما بين شروح للصحيح،
وكتب، ورسائل علمية، وسيأتي ذكر تلك الكتب والبحوث
العلمية في المبحث الثاني بإذن الله.

(11) أساليب بلاغية، للدكتور: أحمد مطلوب، ص (61).

بالجسم: يضعف بضعفه، ويقوى بقوته" (13).

والمعيار في بلاغة اللفظة المفردة هو مراعاتها لمتقضى الحال بعد فصاحتها في سياق التركيب؛ لأن اللفظة الواحدة لا توصف بالبلاغة مجردة عن سياقها الذي جاءت فيه، ولذا قال عبد القاهر الجرجاني (471 هـ) بعد حديثه عن أثر النظم في حسن الألفاظ: "اتضح إذن اتصاحاً لا يدع للشك مجالاً أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ مجردة، ولا من حيث هي كلم مفردة، وأن الفضيلة وخلافها في ملائمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها، وما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروك وتؤنسك في موضع، ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر" (14).

ودراسة اللفظة المفردة في البيان النبوي، والنظر إلى أي مدى كان اختيارها ملائماً للسياق أمراً ضرورياً لأمرين: "الأول: يتمثل في الحديث النبوي الشريف نفسه، بما له من خصوصية سياقية تتعلق بملازمات وجود النص، وملازمات تلقّيه، وغير ذلك من التأسيسات السياقية لعملية التواصل بين طرفي الخطاب،

(13) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، لأبي علي الحسن ابن رشيق القيرواني، (1/124).

(14) دلائل الإعجاز، لأبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، ص (46).

ويتمثل الآخر: في أن الدراسات غير البلاغية التي توفرت على دراسة الحديث النبوي الشريف قد التفتت إلى الأبعاد السياقية، وإن التفاتها إلى الأبعاد السياقية أسبق وأعمق من الرؤية من المنظور البلاغي للسياق، ... ولذلك فإن الحديث عن البعد السياقي في التحليل البلاغي للحديث النبوي الشريف يعد - بلا أدنى شك - إثراءً للدرس البلاغي نفسه" (15).

وقد ظهر هذا المجال في الكتب المؤلفة والدراسات المهمة بالجانب البلاغي في صحيح البخاري على ذلكم النحو، بالنظر إلى دقة اختيار اللفظة من ثلاثة أمور: الأول: اختيارها من حيث مادتها التي اشتقت منها، ومدى حُسن اختيار هذه المادة للتعبير عن المعنى المراد، ويدخل في ذلك الجانب الصوتي الذي يزيد في المعنى وينمّيه.

الثاني: اختيار اللفظة من جهة صيغتها؛ لأن لكل صيغة وظيفة في الكلام، وكل صيغة تعطي دلالة لا تعطيتها الأخرى، كمجيئها على هيئة الفعل الماضي أو المضارع أو الأمر، أو اسم الفاعل، واسم المفعول، والصفة المشبهة، وصيغ المبالغة، أو من مجيئها بصيغة الإفراد والتثنية والجمع، أو التذكير والتأنيث، أو التعريف والتنكير.

(15) السياق وتوجيه دلالة النص مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، للدكتور: عيد بلبع، ص (119).

الثالث: اختيار اللفظة من جهة معناها وملاءمتها للسياق الذي هي فيه، ومراعاتها لمقتضى الحال. وكل ذلك من أجل استخلاص اللطائف البلاغية، والأسرار البيانية.

المجال الثاني: الجملة:

وأعني بالجملة هي المركبة من ركنين أساسيين: المسند والمسند إليه، وهما ما لا يُغني واحدٌ منهما عن الآخر، ولا يجد المتكلم منه بُدًّا⁽¹⁶⁾.

والبحث البلاغي في الكلام النبوي في هذا المجال يكون بناءً على ما تقتضيه البلاغة من مراعاة المقام، وسياق الكلام، وحال المخاطب، وذلك من خمسة اتجاهات:

الأول: نوع الجملة، والجملة المركبة لا تكون إلا خبرية أو إنشائية، "لأنه إن كان لنسبته خارج تطابقه أو لا تطابقه فخير، وإلا فإنشاء"⁽¹⁷⁾، فيُبحث في الجملة الخبرية من حيث نوعها، وأغراضها، ومؤكداها، ومجيئها وفق الظاهر أو خلافه، وفي الجملة الإنشائية يتناول الباحث البلاغي والمتأمل في الكلام النبوي أساليبها من كونها أمراً أو نهياً أو استفهاماً أو نداءً أو تمنياً إن كان الإنشاء طليئاً، وإن لم يكن طليئاً فيتناول فيه السر في

مجيء الجملة بأسلوب القسم، أو الترجي، أو المدح أو الذم، واستنباط الملاحظات والاعتبارات البلاغية في كل ما سبق.

والأصل في الجملة الخبرية أو الإنشائية أن يكون بناؤها موافقاً لمقتضى الظاهر، لكنها قد تخرج أحياناً عن ذلك الأصل؛ لاعتبارات يقصدها المتكلم، وذلك الخروج عن الظاهر يكون من البلاغة إذا اقتضاه الحال أثناء الكلام، كالمخالفة بين أضرب الخبر، والمخالفة بين الخبر والإنشاء، أو بين الإظهار والإضمار، أو بين صيغ الأفعال، أو الالتفات، أو الأسلوب الحكيم، أو التغليب.

الثاني: الحذف والذكر: قد يتخصص بعض الدراسين لصحيح البخاري من جهة بلاغته بتتبع مواطن حذف المسند أو المسند إليه فيما يمكن الاستغناء عنه، أو ذكرهما فيما لا يمكن الاستغناء عنه؛ مراعاةً للمقام، وذلك بقصد الوقوف على المزايا والأسرار البلاغية وراء ذلك الحذف أو الذكر، وهذا مجال واسع وفسيح للباحثين؛ لكثرة وقوع الحذف والذكر في كلام النبي ﷺ لأغراضٍ بيانية، اقتضاها الحال.

الثالث: التقديم والتأخير: الأصل في بناء الجملة أن تكون كل كلمة فيها لها مرتبة خاصة، وموضوعة في موضعها المناسب لها، لكن قد تفقد الجملة ذلك الترتيب، فتتناوب الكلمات في مواضعها، فتحلل الكلمة موضع أختها، وهذه المسألة اهتم بها البلاغيون اهتماماً

(16) كتاب سيبويه، لأبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ص (1/ 23).

(17) التلخيص، للخطيب القزويني، ص (23).

ودرسه بعض العلماء في شرحهم له، أو المتخصصون في بيان بلاغته، مستنبطين منه الفوائد والفرائد البليغة.

الخامس: الإيجاز والإطناب: الناظر والمتأمل في التراث العربي سيجد اهتمام العرب بهذا الاتجاه، وكان الإيجاز عندهم هو الأصل والمقدم إلا لسبب عارض يُقدم فيه الإطناب؛ من أجل ذلك كان الإيجاز في الكلام عند العرب مقياساً من المقاييس البلاغية والنقدية⁽²⁰⁾، ولأجل ذلك حظي هذا الاتجاه باهتمام كبير لدى البلاغيين، فاحتفوا به، وجعله بعضهم ميزاناً للبلاغة، وموطناً يُمدح فيه المتكلم إذا وقع الإيجاز فيما يحسن فيه، وإذا وقع الإطناب فيما يحسن فيه كذلك.

وأما في كلام رسول الله ﷺ فهو سمة بارزة، دون تكلفٍ أو عجزٍ أو خلل، وكيف لا يكون كذلك وهو القائل: (بُعِثْتُ بجوامع الكلم)⁽²¹⁾؛ ومن أجل ذلك لا تكاد تجد شرحاً لصحيح البخاري، أو دراسة علمية له إلا وللوقوف على هذا الاتجاه فيهما نصيب.

وقبل أن أطوي صفحة حديثي في هذا المجال يجدر بي أن أُنَبِّه على أمرٍ مهم، ألا وهو أن لسائلٍ أن يقول: ذكرتَ عددًا من الاتجاهات في هذا المجال، وتركتَ أخرى

(20) ينظر: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، للدكتور: حامد

صالح خلف الربيعي، ص (225).

(21) صحيح البخاري، لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، رقم الحديث (7013).

بالغاً؛ لجريان الكلام على خلاف المعتاد، سعيًا للبحث عن أثر ذلك التقديم أو التأخير في القول، والأسرار البلاغية التي لن تظهر لو بقيت كل كلمة في موضعها الأصلي.

والمتبوع لكلام المصطفى ﷺ يرى أنه لا يكاد يخلو حديث من أحاديثه أو جملة من جملة من تقديم وتأخير استدعاه المقام، ولذا حرص الباحثون والمهتمون بالجانب البلاغي في صحيح البخاري بالوقوف على مواطن التقديم والتأخير في كلامه ﷺ بل قد أفردوا له بحوثًا خاصة، مستخلصين صور التقديم والتأخير فيه، واللطائف الكامنة من ورائه.

الرابع: القصر: وهو "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص"⁽¹⁸⁾، ومن هذا التعريف يظهر أن هناك شيئاً مُخَصَّصاً، وآخر مُخَصَّصاً به، وذلك في ضوء أربعة طرق مشتهرة عند البلاغيين، أولها العطف بـ (بل) أو (لا) أو (لكن)، وثانيها الاستثناء بعد النفي، وثالثها دخول (إنما)، ورابعها التقديم والتأخير⁽¹⁹⁾.

وقد ورد القصر كثيرًا في الخطاب النبوي في صحيح البخاري، مع تنوعه في الطرق التي اشتهرت عند البلاغيين، بناءً على ما يقتضيه الحال، تتبّع ذلك

(18) شروح التلخيص، (2/166).

(19) المصدر السابق، (2/186).

ثانيةً تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية، والاستعارة، والتمثيل⁽²²⁾.

ومن كلام عبد القاهر الجرجاني عرّف د. جابر عصفور الصورة البيانية بأنها "وسيلةٌ تعبيريةٌ لا تنفصل طريقة استخدامها أو كيفية تشكيلها عن مقتضى الحال الخارجي، الذي يحكم الشاعر، ويوجّه مسار قصيدته، إمّا جانب النفع المباشر، أو جانب المتعة الشكلية⁽²³⁾".

وهذه الطريقة التعبيرية من خلال الصورة البيانية لم تغب في الكلام النبوي، لا سيما في صحيح البخاري، فقدّمت لنا في قوالب متنوعة، ما بين تشبيه، واستعارة، وكناية، ومجاز مرسل، رغبةً في ترسيخ المعنى، وإيصال الرسالة، دون خلل، أو تعقيد، وتفننًا في الأسلوب، ممّا هدى الدارسين من البلاغيين لصحيح البخاري إلى رصد تلك الصور، ودراسة أنواعها جميعًا في مؤلّف واحد، أو الاقتصار بدراسة واحدٍ منها، وبيان أثرها في المعنى، وقدرتها على تجسيده.

المجال الرابع: البديع:

وأعني به المحسنات اللفظية والمحسنات المعنوية، أو دراسة وجوه تحسين الكلام من جهة اللفظ، أو من

مشهورة ومعلومة لدى البلاغيين، مع أهميتها الكبيرة، كالفصل والوصل، فهل لذلك قصد أو لا؟ فأجيب: أن ذلك جاء عن قصد؛ لأنني لمّا أخذتُ أستقصي وأجمع كل ما كُتب حول صحيح البخاري في العصر الحديث من جهة شرحه بوجه عام، أو دراسته دراسةً علميةً بلاغية لم أجد دراسةً علميةً متخصصةً في موضوع الفصل والوصل، وبالتالي فما ذكرته من الاتجاهات هو ما وقعت عليه يدي من الدراسات البلاغية حول أحاديث رسول الله ﷺ في صحيح البخاري.

المجال الثالث: التصوير البياني:

في بعض المقامات قد يرى المتكلم أن المفردات والتركيب لا تستطيع التعبير عن المراد لإفهام المخاطب، فيلجأ إلى البحث عن أساليب أخرى في ظاهرها لا تُعبّر عن المعنى المراد، ولكنها ترسم في خيال المخاطب صورةً لذلك المعنى، يؤيّد هذا ويؤكّده شيخ البلاغيين عبد القاهر الجرجاني، فيقول - رحمه الله -: "الكلام على ضربين: ضربٌ أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تُخبر عن (زيد) مثلاً بالخروج على الحقيقة، فقلت: (خرج زيد)، وبالنزاع عن (عمرو) فقلت: (عمرو منطلق)، وعلى هذا القياس.

وضربٌ آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدُلُّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالةً

(22) دلائل الإعجاز، ص (262).

(23) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، للدكتور: جابر عصفور، ص (332).

المجال السادس: الأغراض:

يسعى بعض الباحثين في العصر الحديث إلى دراسة الأحاديث النبوية في صحيح البخاري من جهة الأغراض، فيختار غرضاً من الأغراض كالترغيب والترهيب، أو الحجاج، ويجمع كل الأحاديث النبوية في الصحيح المشتملة على ترغيب وترهيب أو حجاج وإقناع، فيدرسها دراسةً بلاغيةً شاملةً للمجالات الأربع الأولى، أو أحدها.

المجال السابع: أجناس القول:

كلام النبي ﷺ في صحيح البخاري قد جاء في صورة أجناس من القول مختلفة، فمنها القصة، والخطبة، والحوار، والذكر، والفتوى، وغيرها، ومن هذه الأجناس يلجأ بعض الباحثين للطائفتين البلاغية في صحيح البخاري إلى اختيار جنسٍ من القول كالحوار مثلاً، فيجمع كل الأحاديث النبوية التي دار فيها حوارٌ للنبي ﷺ مع أصحابه، رضوان الله عنهم أجمعين، ويدرسها من جهةٍ دراسةً بلاغيةً في ضوء المجالات الأربع الأولى، أو أحدها، ومن جهةٍ أخرى يُدرس في تلك الأحاديث النبوية العناصر الفنية التي قام عليها هذا الحوار، من حيث الشخصيات وأنواعها، ووظائفها، ومن حيث نوع الحوار، وسماته، ووظائفه، ومن حيث الزمان والمكان اللذان وقعا فيهما ذلك الحوار، وغير ذلك.

جهة المعنى، مع مراعاتها لمقتضى الحال، ولئن كانت هذه المحسنات في ظاهر وجودها في الكلام قد جاءت لمجرد الحلية والزينة الشكلية، فإنها للمتأمل في الكلام الرفيع من كلام الله - تعالى - وكلام رسوله ﷺ قد تنزَّها عن مجيئها لذلك القصد فقط، بل جاءت وسيلة من وسائل التعبير المعبرة عن المعنى الكامن في الكلام.

ومجيء تلك المحسنات اللفظية أو المعنوية في كلام رسول الله ﷺ ليس بالظاهرة المستفيضة؛ ولذا يندر أن يقف الشارح لصحيح البخاري لبيان لفتة بلاغية من جهة البديع، وكذلك الأمر في الدراسات البلاغية، إذ لم أقف إلا على رسالتين اثنتين فقط تخصصتا في هذا المجال.

المجال الخامس: الكتب والأبواب⁽²⁴⁾:

وأعني بهذا المجال أنني حينما تتبعت الدراسات البلاغية في صحيح البخاري وجدتُ بعض الدارسين يدرس الأحاديث النبوية من جهة اختياره كتاباً أو باباً محدداً من كتب الصحيح وأبوابه، كأن يختار كتاب فضائل الصحابة، فيدرس الأحاديث النبوية التي ذكرها البخاري تحت هذا الكتاب فقط دون غيرها دراسةً بلاغيةً لجميع المجالات السابقة، أو أحدها.

(24) البخاري - رحمه الله - قسم الأحاديث إلى كتب، والكتب إلى أبواب.

المجال الثامن: التناسب:

وهو مجال رَحْب، إلا أنني رأيت الدراسات البلاغية في الحديث النبوي في ضوء هذا المجال قليلة، وإذا كانت قليلةً في صحيح البخاري ففي غيره من باب أولى.

وفي هذا المجال يُدرّس التناسب في صحيح البخاري من جهتين: الأولى: يُدرّس من جهة الأبواب والكتب في الجامع الصحيح، من حيث التناسب في ترتيب الكتب، ومن حيث ترتيب الأبواب في الكتاب الواحد، والجهة الثانية: تُدرّس وجوه التناسب في الأحاديث النبوية الشريفة، كالتناسب بين الحديث النبوي وما قبله مباشرةً أو عمومًا، أو ما بعده مباشرةً أو عمومًا، والتناسب بين أحاديث الباب الواحد، وكذلك التناسب بين أول الحديث وآخره، والتناسب بين الحديث الأخير في كل باب، وغيرها من أوجه التناسب، مع إبراز وجوه العلاقة بين كل ما سبق.

تلك هي أبرز مجالات البحث البلاغي في الحديث النبوي، ولا أزعم أنني استقصيتها جميعًا، بل ربما كان هناك مجالات أخرى تظهر مستقبلاً، لا سيّما أن هناك من الدراسات ما يعتمد على دراسة الحديث النبوي الشريف في ضوء المناهج النقدية الحديثة.

* * *

المبحث الثاني

جهود شراح صحيح البخاري والبلاغيين في الكشف عن الجوانب البلاغية

إن مما لا يختلف فيه اثنان أن البلاغة النبوية تأتي في المرتبة الثانية بعد بلاغة القرآن الكريم وإعجازه، ولأجل ذلك عني العلماء والدارسون على مر العصور بالحديث النبوي الشريف، وأولوه اهتمامًا خاصًا، من حيث الجمع، والإسناد، والتخريج، والتصنيف، والترتيب، والشرح، بل أضافوا إلى تلك العناية عنايةً أخرى بدارستهم المأثور عن رسول الله ﷺ دراسةً تهتم بالبحث في بلاغته، واستخراج أسرار جماله، ولطائف بيانه، لا سيّما صحيح البخاري؛ لأن أحاديثه هي أصح الكلام بعد كلام الله، ولأن العزو إليها مُعلّم بالصحة.

ولعل من أقدم العلماء الذين فتقوا أسرار البيان النبوي عمرو بن بحر الجاحظ في كتابه (البيان والتبيين)، ومن جاء بعده الشريف الرضي (406هـ) في كتابه (المجازات النبوية)، ومنهم أبو الحسين إسحاق بن وهب في كتابه (البرهان في وجوه البيان)، وغيرهم كثير.

بل نجد مظاهر تلك العناية عند علماء الحديث ممن عنوا بشرح الأحاديث النبوية، كشمس الدين الكرمانى (786هـ) في (الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري)، وابن حجر العسقلاني (852هـ) في (فتح الباري)، وبدر الدين العيني (855هـ) في (عمدة القاري) في شرحهم

لصحيح البخاري، وغيرهم.

وتلك العناية بدراسة الحديث النبوي من جهة بيان أوجه بلاغته قد امتدت إلى العصر الحديث، كما في كتاب (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) لمصطفى صادق الرافعي، وكتاب (الأحاديث النبوية الشريفة) للدكتور: محمود فرج العقده، وكتاب (لمحات في أصول الحديث والبلاغة النبوية) للدكتور: محمد أديب الصالح (1438هـ)، وكتاب (من كنوز السنة) لمحمد بن علي الصابوني، وغيرها كثير.

ومن هنا يأتي هذا المبحث امتداداً لرصد جهود العلماء في العصر الحديث في خدمة البلاغة النبوية، مقتصرًا على ما كُتب في صحيح البخاري، بشرح أحاديثه النبوية كلها، أو باب من أبوابها، أو انتقاء لبعضها عن قصد، مع عدم إغفالهم للجانب البلاغي بالوقوف عليه، وبيان مقاصده، وأثره في المتلقي، أو كانت تلك الكتب من الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية في الجامعات العربية من رسائل ماجستير ودكتوراه، وبحوث قصيرة، أو كُتب لغير ذلك، وكان الهدف منها إظهار اللطائف البلاغية في البلاغة المحمدية.

أولاً: الشروح:

منذ أن بزغ نور صحيح البخاري على البشرية تسابق علماء الحديث في قراءته وحفظه، ثم بشرحه للناس مشافهةً أو كتابةً، وكلُّ له مشربه، فمنهم من

شرحه كاملاً، ومنهم من شرح بعضه، ومنهم من شرح كتاباً أو باباً من أبوابه، ومنهم من شرح أحاديث مختارة، وكلُّ على خير، وهم كذلك في طريقة شرحهم مختلفون؛ بناءً على اختلاف توجه كل عالم وإهتماماته، ويهمننا في هذا ما شرح من صحيح البخاري في العصر الحديث، وله لفتات بلاغية، ووقفات بيانية، وسأذكرها بحسب الأقدم تأليفاً، مع ذكر موضعين من الكتاب استخرج فيهما الشارح للحديث وجهًا بلاغيًا نبويًا:

أولاً: الفجر الساطع على الصحيح الجامع، لمحمد الفضيل بن الفاطمي الشبهي الزرهوني (1318هـ)، وهو مطبوعٌ في سبعة عشر مجلداً، ومن وقفاته البلاغية في الحديث النبوي:

1- في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: أمر رسول الله ﷺ بصدقة، فقيل: منع ابن جميل وخالد بن الوليد وعباس بن عبد المطلب، فقال النبي ﷺ: (ما ينقم ابن جميل إلا أنه كان فقيراً فأغناه الله ورسوله، وأما خالد فإنكم تظلمون خالدًا قد احتبس أذراعه وأعتده في سبيل الله، وأما العباس بن عبد المطلب فعم رسول الله ﷺ فهي عليه صدقة، ومثلها معها)⁽²⁵⁾.

قال - رحمه الله - في قوله ﷺ: (ما ينقم... إلخ فيه

تأكيد للمدح بما يشبه الذم على حدٍّ ﷺ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ

(25) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (1468).

أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ. (26)(27). قال رحمه الله: "وإضافته - يعني الجُلْبَان - إلى

2- في الحديث الذي روته أم سلمة رضي الله عنها قالت: (استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم من الليل، وهو يقول: لا إله إلا الله، ماذا أنزل الليلة من الفتن؟ ماذا أنزل من الخزائن ...؟!) إلخ (28).

السلح من إضافة الظرف إلى المظروف، ولكن لما كان الجلبان اسمًا للجرباب من الأدم الذي يوضع فيه السيف والسوط، كان إطلاقه على السلاح كناية ظاهرة؛ إذ المقصود المظروف لا الظرف" (31).

قال - رحمه الله - في قوله صلى الله عليه وسلم: "ماذا أنزل... إلخ استفهام متضمن معنى التعجب" (29).

2- في الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (يقال: يا محمد: أدخل من أمتك من لا

حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيها سوى ذلك من الأبواب) (32).

ثانيًا: النَّظَرُ الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح لمحمد الطاهر ابن عاشور (1393هـ)، وهو كتاب مطبوع، متوسط الحجم، شرح فيه أحاديث معدودة من جميع أبواب الصحيح، وله فيه لطائف بلاغية كثيرة، وكيف لا يكون كذلك، وهو المرجع للبلاغيين اليوم في بلاغة القرآن الكريم عبر تفسيره التحرير والتنوير، ومن تلك اللطائف البلاغية:

1- في قول النبي صلى الله عليه وسلم من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه: (ولا يدخلها إلا بجُلْبَانِ السلاح: السيف والقوس ونحوه...) إلخ (30).

ثالثًا: شرح صحيح البخاري، للشيخ: محمد بن صالح العثيمين (1421هـ)، ويقع في عشرة مجلدات مطبوعة، وله - رحمه الله - وقفات بلاغية أثناء شرحه لأحاديث البخاري، فمن ذلك:

1- في قول النبي صلى الله عليه وسلم من الحديث الذي رواه عبد

(26) سورة التوبة، رقم الآية (74).

(27) الفجر الساطع على الصحيح الجامع، لمحمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي الزرهوني، (4/287).

(28) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (5844).

(29) الفجر الساطع على الصحيح الجامع، (84/13).

(30) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (2700).

(31) النَّظَرُ الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، لمحمد الطاهر ابن عاشور، ص (80).

(32) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (4712).

(33) النَّظَرُ الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، ص (174).

سمعت صوتاً من السماء، فرفعت بصري، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض.... إلخ⁽³⁷⁾.

قال الشيخ أبو موسى - حفظه الله -: "قال النبي ﷺ: (رفعتُ بصري) وهذه الفاء للسببية، والترتيب، ولم يقل النبي ﷺ: فنظرت، وإنما قال فرفعت؛ ليلائم كلمة السماء، وليذكر الرفعة ويقرنها بهذا الصوت، ويرتبها عليه؛ لأن هذا الصوت من النبوة التي هي أمر الله أنزله إلينا، وهي ترفع الذين يؤتونها فيأخذونها، وعكسهم الذي أخلد إلى الأرض، واتبع هواه، ثم إنه النبي ﷺ لم يقل: فرفعت عيني أو نظري، وإنما قال: بصري، فأوماً إلى البصيرة التي يتلقى بها كل مسلم صوت السماء"⁽³⁸⁾.

2- حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه قال النبي ﷺ: (ولا يأتي أحدكم يوم القيامة بشاة يحملها على رقبته لها يُعار،...) إلخ⁽³⁹⁾.

قال الشيخ معلّقاً: "ليس المراد النهي عن المذكور؛ لأننا لا نملك أن ندفع عن أنفسنا حمل شاة ولا بعير، والنهي إذا دخل على ما لا يستطيع المخاطب الكفّ عنه يكون المراد به النهي عن موجب ذلك، أي: لا

الله بن عمرو بن العاصي رضي الله عنه: (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)⁽³⁴⁾.

قال الشيخ - رحمه الله -: "فهنا لو نظرت لوجدت أن الجملة تفيد الحصر؛ لتعريف طرفيها، والجملة الاسمية إذا تعرّف طرفاها فهي مفيدة للحصر"⁽³⁵⁾.

2- في الحديث الذي روته أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ استيقظ ليلة فقال: (سبحان الله! ماذا أنزل الليلة من الفتنة؟ ماذا أنزل من الخزائن؟ من يُوَقِّظ صواحب الحجرات؟ يا رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة)⁽³⁶⁾.

رابعاً: شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سَمَت الكلام الأول، للأستاذ الدكتور: محمد محمد أبو موسى، حفظه الله، وهو كتاب مطبوعٌ في مجلد واحد، وعنوانه يدل على انتقاء الشارح لأحاديث من صحيح البخاري، والمؤلف - رعاه الله - بلاغي شهير في هذا العصر، ولا ريب أن يحفل كتابه باللفتات البلاغية، فمن ذلك:

1- في الحديث الذي رواه جابر عبد الله رضي الله عنه في كتاب بدء الوحي، وفيه قال النبي ﷺ: (بيننا أنا أمشي إذ

(37) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (4).

(38) شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سَمَت الكلام الأول، للأستاذ الدكتور: محمد محمد أبو موسى، ص (95).

(39) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (1402).

(34) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (10).

(35) شرح صحيح البخاري، للشيخ: محمد بن صالح العثيمين، ص (1/57).

(36) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم الحديث (1126).

- تغتصب شاةً، فتأتي يوم القيامة تحملها، وفي هذه الطريقة تأكيد، وحقيقتها أنها من باب الكناية؛ لأنك تنفي اللازم وتريد الملزوم⁽⁴⁰⁾.
- ثانيًا: الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية:
- الحديث عن الدراسات العلمية والبحوث الأكاديمية في موضوع هذا البحث واسع وطويل، لا سيَّما إذا رأينا الكم الهائل من البحوث العلمية المسجَّلة لدراسة البلاغة النبوية في صحيح البخاري بوجهٍ خاص، والبلاغة النبوية بوجهٍ عام، ومع طلوع شمس كل يوم تظهر لي دراسة جديدة في ذلك، حتى وصل ما جمعته قرابة ستين بحثًا ودراسةً في صحيح البخاري فقط، وفي اعتقادي أن العدد أكثر من ذلك، والله الحمد والفضل.
- واستكمالاً للمبحث السابق وربطاً به أعيد في هذا المبحث ذكر مجالات البحث البلاغي في صحيح البخاري، ذاكرًا تحت كل مجال ما دُرس في ظلِّه، مرتَّبًا تلك الدراسات بحسب الأقدم كتابةً وتأليفًا، وذلك على النحو الآتي:
- المجال الأول: المفردة النبوية:**
- الدراسات البلاغية لصحيح البخاري في هذا
- المجال قليلة، ومما وجدته في ذلك:
- 1- أسرار التنكير والتعريف في الحديث النبوي دراسة بلاغية تطبيقية تحليلية في صحيح البخاري، أحمد محمد النور أحمد، رسالة دكتوراه، جامعة أم درمان الإسلامية، السودان (2005م).
- 2- بلاغة التعريف والتنكير في أحاديث صحيح البخاري، عواد بن عيفان العنزي، رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (1434هـ).
- المجال الثاني: الجملة:**
- الدراسات البلاغية في صحيح البخاري في ضوء هذا المجال كثيرة، وما ذاك إلا لاتساع الموضوعات البلاغية فيه، ومنها:
- 1- القصر في صحيح البخاري، مواقعه وأساره، هشام رزق إسماعيل عطية زبادي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1419هـ).
- 2- القسم النبوي في صحيح البخاري دراسة بلاغية، معوض بن محمد علي الخولي، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، (1420هـ).
- 3- بلاغة التكرار في صحيح البخاري، رمضان عاشور أبو زيد محمد، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، (1422هـ).
- 4- الإجمال والتفصيل وأساره البلاغية في صحيح البخاري، نصر عبد العزيز حسن الكتامي،

(40) شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سَمْتِ الكلام الأول، ص (297).

- رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، (1422هـ).
- 5- التقديم والتأخير في صحيح البخاري، رملة رشيد إسماعيل الناصري، رسالة ماجستير، جامعة تكريت، (1423هـ).
- 6- بلاغة الحذف في البيان النبوي في صحيح البخاري، معوض محمد علي الخولي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1424هـ).
- 7- الإطناب صوره ومقاماته في صحيح البخاري، صلاح أحمد رمضان حسين، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1424هـ).
- 8- الإيجاز وخصائصه البلاغية في صحيح البخاري، نصر عبد العزيز حسن الكتامي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1425هـ).
- 9- الإيجاز والإطناب في الحديث النبوي الشريف: دراسة تحليلية تطبيقية في صحيح البخاري، دريه ياسين عبد الرحمن أحمد، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، (1427هـ).
- 10- من أسرار التوكيد البلاغي في صحيح البخاري، محمد فتحي السيد حمد، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1427هـ).
- 11- الإيجاز في النصف الأول من صحيح الإمام البخاري: دراسة بلاغية، خوجلي النور عبد الحميد النور، رسالة ماجستير، جامعة أم درمان الإسلامية، (1430هـ).
- 12- الخطاب الطلبي في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في متن صحيح البخاري، هناء محمود شهاب، دار غيداء للنشر والتوزيع، (2014م).
- 13- الجملة المعترضة في صحيح البخاري دراسة تركيبية أسلوبية (كتاب الجهاد والسير نموذجاً)، سعاد بن ناصر، رسالة مكمله للماجستير، جامعة حمه لخضر الوادي بالجزائر، (1435هـ).
- 14- الجملة التعليلية في الحديث النبوي في صحيح البخاري مواقعها وأسرارها البلاغية، مستور عبد الفضيل عبد الحميد يعقوب، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (2018م).
- 15- التفضيل في أحاديث صحيح البخاري، دراسة أسلوبية مقارنة، أيمن خميس عبد اللطيف إبراهيم أبو مصطفى، رسالة دكتوراه، جامعة المنوفية، (1436هـ).
- 16- الأسلوب المجازي في صحيح الإمام البخاري، حسناء فلمبان، رسالة دكتوراه، كلية التربية.
- 17- الأساليب الإنشائية في الحديث النبوي في صحيح البخاري، منال طه عبد الرزاق الرفاعي، رسالة دكتوراه.
- المجال الثالث: التصوير البياني:
- ومما يدخل في هذا المجال من الدراسات البلاغية لصحيح البخاري:
- 1- الكناية في الحديث الشريف وأثرها البلاغي

- من خلال صحيح البخاري، محمد محمد علي إبراهيم حجازي، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1407هـ).
- 2- جماليات الصورة الفنية في صحيح البخاري دراسة أسلوبية، مازن موفق الخيرو، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات.
- 3- بلاغة التشبيه في الحديث النبوي الشريف في صحيح البخاري، فائزة طه عمر، مجلة جامعة تكريت للعلوم، (2012م).
- 4- الاستعارة في الحديث النبوي الشريف (صحيح البخاري)، محمد علي إبراهيم حسين الطائي، دار الكتب العلمية، (2014م).
- 5- التشبيه في البيان النبوي مقارنة بلاغية لأحاديث من صحيح البخاري، شهيرة برباري، بحث قصير، جامعة محمد خيضر.
- المجال الرابع: البديع:
- ومما ظهر لي في هذا المجال من الدراسات البلاغية:
- 1- الأسجاع في الحديث النبوي الشريف (صحيح البخاري)، أحمد عباس داود، رسالة ماجستير، جامعة الموصل، (126هـ).
- 2- الفنون البديعية ودلالاتها في الحديث النبوي الشريف: دراسة في صحيح البخاري، أحمد شكر مهاوش، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، (1428هـ).
- 3- مراعاة النظر في صحيح البخاري مواقعه وأسراره، محمد عبد الفتاح النجار، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، (2011هـ).
- 4- البديع في الحديث النبوي الشريف دراسة بلاغية في صحيح البخاري، خالد علي حسن داود، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (1435هـ).
- المجال الخامس: الكتب والأبواب:
- وهو من أيسر المجالات على الباحثين، فلأن البخاري - رحمه الله - قد قسّم الأحاديث إلى كتب وأبواب، فإن الباحث يختار منها كتاباً أو باباً، ويدرسه دراسةً بلاغيةً شاملة، أو في ضوء علم من علوم البلاغة الثلاثة، ومما جاء على هذا النحو ما يلي:
- 1- الخصائص البلاغية للأحاديث النبوية الواردة في كتاب العلم من صحيح البخاري، عائشة حسين فريد، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، (1424هـ).
- 2- البلاغة النبوية في أحاديث الصبر من خلال صحيح البخاري، محمد حسن شرشر، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، (1425م).
- 3- كتاب الجهاد والسير من صحيح البخاري دراسة بلاغية تحليلية، فيصل محمد العسيري، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (1430هـ).
- 4- أحاديث كتاب الرقاق في صحيح البخاري

- دراسة بلاغية تحليلية، حصة محمد العيدي، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، (1434هـ).
- 1- التداولية في الحديث النبوية الشريف صحيح البخاري أنموذجاً، أمجد محمد بشير عبد الله عبيدات، رسالة دكتوراه، جامعة اليرموك، (1434هـ).
- 2- الخطاب الحجاجي في صحيح البخاري دراسة تداولية، أبو بكر زروقي، رسالة دكتوراه، جامعة محمد خيضر بسكرة، (1437هـ).
- المجال السابع: أجناس القول:
- ما كُتب في ضوء هذا المجال كثير، ولكن أغلب من كتب يجمع أحاديث الصحيحين معاً في دراسة بلاغية واحدة، ومما وجدته في هذا منفرداً بالدراسة لصحيح البخاري:
- 1- بلاغة السؤال والجواب في صحيح البخاري، عبد الرحمن أحمد سالم الصبان، رسالة ماجستير، جامعة الأزهر، (2006م).
- 2- الخصائص البيانية في قصص أحاديث البخاري: الوحي والأنبياء، وفضائل الصحابة، والمغازي، والتفسير، آمنة بنت إسماعيل محمد عسيري، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات بجدة، (1417هـ).
- المجال الثامن: التناسب:
- والدراسات البلاغية في هذا المجال قليلة؛ ولذا فهو مجال للباحثين، ومما وجدته مما يتعلق بموضوع البحث:
- 5- البلاغة النبوية في كتاب الاستئذان وكتاب الدعوات من صحيح البخاري، فاطمة فتحي إبراهيم المدني، رسالة دكتوراه، جامعة الأزهر، (1435هـ).
- 6- البلاغة النبوية من خلال كتاب الأدب من صحيح البخاري دراسة وصفية تحليلية، مراد ماجي، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، (1437هـ).
- 7- البلاغة النبوية في كتاب التوحيد من صحيح البخاري دراسة بلاغية تحليلية، بدر عبد الرحمن النفيسة، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- 8- البلاغة النبوية في كتاب الفتن والاعتصام بالكتاب والسنة من صحيح البخاري دراسة تحليلية، نوف سالم الشمري، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- المجال السادس: الأغراض:
- هناك رسائل كثيرة تدخل تحت هذا المجال، ودرست الحديث النبوي من جهة الغرض، كالتحذير، والترغيب والترهيب، والتشويق، وغيرها، بل ولأغراض أخرى ظهرت مع اتساع مجالات البحث في البلاغة في العصر الحديث كالحجاج، والتداولية، ولكنني

الخاتمة

وبعد، فالحمد لله حمداً يليق بجلال وجهه، وعظيم سلطانه، على ما أعانني ويسر لي من إتمام هذا البحث، وأسأل ربي أن أكون قد وفقت لتحقيق ما أرجوه وأصبوا إليه، فمنه - تعالى - طلبت العون، وعليه توكلت، فابتدأت.

ولقد طاف هذا البحث في واحة صحيح البخاري، للحديث عن عناية العلماء والباحثين في العصر الحديث من جهة بلاغته أثناء شرحهم لأحاديث النبوية، أو الدراسة البلاغية المقصودة لأحاديث الشريفة.

وقد تناولت في التمهيد الحديث عن البلاغة النبوية وبيان منزلتها ومكانتها، وذكرت فيه أقوال بعض العلماء والأدباء والبلغاء في بلاغة الحديث الشريف، من الجاحظ إلى الرافعي، وأشرت أن تلك البلاغة المحمدية لم تكن في أعلى درجات البلاغة الإنسانية إلا بتوفيق من الله - تعالى - ثم أسباب تهيأت له ﷺ.

وفي المبحث الأول تناولت الحديث عن (مجالات البحث البلاغي في صحيح البخاري)، واستخلصت تلك المجالات بعد جمع وإطلاع على قرابة ستين مؤلفاً في العصر الحديث، ما بين شروح للصحيح، ودراسات علمية درسته من جهة بلاغته، وبيان لطائفه، واستنبطت من ذلك الاطلاع توجهات الشارحين والباحثين

1- التناسب بين جمل الحديث الشريف دراسة

بلاغية في صحيح البخاري، إبراهيم كامل عثمان محمد، جامعة الأزهر، (1434هـ).

2- دلالات التناسب اللغوي في صحيح

البخاري، دراسة تحليلية أسلوبية، غادة محمد عمر قنديل، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، (1438هـ).

هذا، وإن حصر جهود العلماء والباحثين في خدمة هذا الكتاب العظيم - صحيح البخاري - في العصر الحديث من جهة بلاغة أحاديثه كثيرة جداً، لا يمكن أن تعد وتحصّر؛ ولذا فالباحث لم يستطع الحصول على بعضها، وبعضها الآخر لو دونها في هذا البحث لاتسع وطال، وثالث ذلك هو تلك الدراسات التي جمعت صحيح البخاري ومسلم في دراسة واحدة، أمثال: بلاغة الرسول ﷺ في تقويم أخطاء الناس وإصلاح المجتمع دراسة في الصحيحين، للدكتور: ناصر راضي الزهري إبراهيم، ورعاية المخاطب في أحاديث الصحيحين، للأستاذ الدكتور: يوسف بن عبد الله العليوي، ومشهد السرد في الحديث النبوي دراسة في قصص الصحيحين، للدكتور: محمد بن سعد الدكان، ومظاهر الطبيعة في الصحيحين دراسة بلاغية تحليلية، للدكتور: صلاح حبيب سليمان حبيب، وغيرها.

* * *

ومجالاتهم في دراسة صحيح البخاري دراسةً بلاغية،
فوصلت إلى ثمانية مجالات.

كما أسفر هذا البحث عن جملة من التوصيات،
وأهمها:

ثم دلفت إلى البحث الثاني مستكملاً للبحث
السابق له؛ لإظهار تلك الجهود العلمية التي تولدت منها
تلك المجالات البحثية أمام القارئ، وكأن هذا البحث
بمنزلة الدليل للحكم، وعنوانه بـ (جهود شراح صحيح
البخاري والبلاغيين في الكشف عن الجوانب البلاغية)،
وقسمته إلى قسمين: قسم لشروح البخاري المعنوية
بالجانب البلاغي، وذكرت منها أربعة، مع بيان موضعين
منها، والقسم الآخر للدراسات البلاغية المتخصصة في
الصحيح، وأعدت فيه ذكر المجالات كما هي في البحث
الأول، وذكرت تحت كل مجال الدراسات التي سارت في
ضوئه.

وقد أسفر هذا البحث عن نتائج، منها:

1- تعدد مجالات البحث البلاغي في الحديث
النبوي.

2- عناية شراح الحديث النبوي بإظهار بعض
الوجوه البلاغية في الكلام النبوي، وإن لم يكن مستهدفاً
الجوانب البلاغية بعامة!

3- كثرة الدراسات العلمية والمؤلفات المؤلفة في
دراسة بلاغة صحيح البخاري معاني وبيانياً وبديعاً، لا
سيما في جامعة الأزهر! وهذه الكثرة تُسفر لنا عن بركة
هذا الكتاب العظيم.

1- العناية بالبحث البلاغي في الحديث النبوي،
وتشجيع الباحثين على تزويد المكتبة البلاغية بدراسات
مهمةً بالبلاغة النبوية.

2- أن تكون الدراسة للحديث النبوي قائمة على
أسس ومنهجيات صحيحة؛ لإظهار المقاصد والدلالات كما
أرادها قائلها ﷺ، من غير زيغٍ أو اتباع لمنهج غير قويم.

3- رصد دراسات في بلاغة النبي ﷺ في كتب
أخرى من الحديث، كصحيح الإمام مسلم، وغيره،
والوقوف على أسسها، واستخراج مجالات الباحثين فيها.

وأخيراً أسأل الله - تعالى - بمنه وكرمه أن يبارك في
هذا البحث، ويجعله في ميزان حسناتي يوم القيامة، وخالصاً
لوجه الكريم، إنه على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

* * *

ثبت المصادر والمراجع

أساليب بلاغية، الدكتور: أحمد مطلوب، الطبعة الأولى، الكويت،
وكالة المطبوعات.

إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، الرافي، مصطفى صادق، الطبعة
التاسعة، بيروت، دار الكتاب العربي، (1425هـ / 2005م).

الآيات البينات في ذكر ما في أعضاء رسول الله ﷺ من المعجزات،
ابن دحية الكلبي، أبو الخطاب عمر بن الحسن، دراسة
وتحقيق: جمال عزون، الطبعة الأولى، الشارقة، مكتبة
العمرين العلمية، (1420هـ / 2000م).

- البيان والتبيين، الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، بيروت، دار الجيل.
- التلخيص، الخطيب القزويني، جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، ضبط وشرح: عبد الرحمن البرقوقي، الطبعة الثانية، مصر، دار الفكر العربي، (1350هـ).
- حياة الرافعي، العريان، محمد سعيد، الطبعة الثالثة، مصر، المكتبة التجارية الكبرى، (1375هـ/1955م).
- دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، أبو بكر بن عبد الرحمن، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، الطبعة الخامسة، القاهرة، مكتبة الخانجي، (1424هـ/2004م).
- السياق وتوجيه دلالة النص مقدمة في نظرية البلاغة النبوية، الدكتور: عيد بليغ، الطبعة الأولى، مصر، دار الكتب المصرية، (1429هـ/2008م).
- شرح أحاديث من صحيح البخاري دراسة في سمت الكلام الأول، أبو موسى، محمد محمد، الطبعة الثانية، القاهرة، مكتبة وهبة، (1431هـ).
- شرح صحيح البخاري، العثيمين، محمد بن صالح، الطبعة الأولى، القاهرة، المكتبة الإسلامية، (1428هـ/2008م).
- شروح التلخيص، بيروت، دار الكتب العلمية.
- الشفاء بتعريف حقوق المصطفى، القاضي عياض، أبو الفضل ابن موسى اليحصبي، حقق نصوصه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه: عبده علي كوشك، الطبعة الأولى، دبي، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وحدة البحوث والدراسات، (1434هـ/2013م).
- صحيح البخاري، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، الطبعة الثانية، الرياض، مكتبة دار السلام، (1419هـ).
- الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، الدكتور: جابر عصفور، الطبعة الثالثة، بيروت، المركز الثقافي العربي، (1992م).
- العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ابن رشيق القيرواني، أبو علي الحسن، حققه وفصله وعلّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الجيل، (1401هـ/1981م).
- الفجر الساطع على الصحيح الجامع، الزهوني، محمد الفضيل بن الفاطمي الشبيهي، دراسة وتحقيق الدكتور: عبد الفتاح الزّينفي، الطبعة الأولى، الرياض، مكتبة الرشد، (1430هـ/2009م).
- كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال العسكري، الحسن ابن عبد الله بن سهل، تحقيق: علي بن محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، الطبعة الأولى، دار إحياء الكتب العربية، (1371هـ/1952م).
- كتاب سيبويه، سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، الطبعة الثالثة، القاهرة، مكتبة الخانجي، (1408هـ/1988م).
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ابن قاسم، عبد الرحمن بن محمد، المدينة المنورة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، (1425هـ/2004م).
- مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، الربيعي، حامد صالح خلف، مكة المكرمة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، (1416هـ/1996م).
- النظر الفسيح عند مضائق الأنظار في الجامع الصحيح، ابن عاشور، محمد الطاهر، الطبعة الأولى، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، (1428هـ/2007م).